حتى تتضح الصورة

تقابلنا **في حياتنا اليومية** بصفة مستمرة كميات هائلة من البيانات – من أنباء عن الصحة العامة إلى استطلاعات الرأي السياسية– تُقدَّم لنا باعتبارها حقائق ثابتة مستندة إلى الإحصاءات. وفي مثل هذه الظروف، نميل طبيعيا إلى استنتاج صحة هذه البيانات مادامت مستندة إلى الإحصاءات. ولكن كم من مرة صادفتنا إحصاءات متباينة حول ذات الموضوع؟ وكيف لنا أن نعرف إن كانت الحقائق التي تطالعنا صحيحة؟

وحول هذا الموضوع، يقدم لنا تيم هارفورد في كتابه الأخير بعنوان «مُحقق البيانات» مساهمة كبيرة من خلال عرض بديهي للقواعد الأساسية التي يمكن الاستعانة بها لتقييم مدى معقولية الحقائق المصنفة على أنها إحصاءات صحيحة. وقد تم تصميم هذا الكتاب بطريقة لطيفة تتناسب مع القاعدة العريضة من القراء، حيث يقدم سلسلة من القصص الشائقة والمسلية التي تشرح لنا بالتفصيل كيف يمكن للإحصاءات أن تكون مضللة، كما يستعرض أمثلة عن دراسات إحصائية جادة استطاعت أن تبدّل طريقة فهمنا للأمور وتغير سلوكياتنا – مثل آثار التدخين على الصحة. وبينما يتجنب المؤلف استخدام المصطلحات المتخصصة والإشارة إلى الجوانب الفنية في العمل الإحصائي، فإنه يذكر بصورة مقنعة، بناء على خبراته وبحوثه، أنه ينبغي اعتبار الإحصاءات أداة يمكنها مساعدتنا في تفهم حقيقة العالم الذي نعيش فيه، وذلك فيما يشبه التلسكوب في مجال الرصد الفلكي، إذا جاز لي الاستعانة بالتشبيه الذي استخدمه.

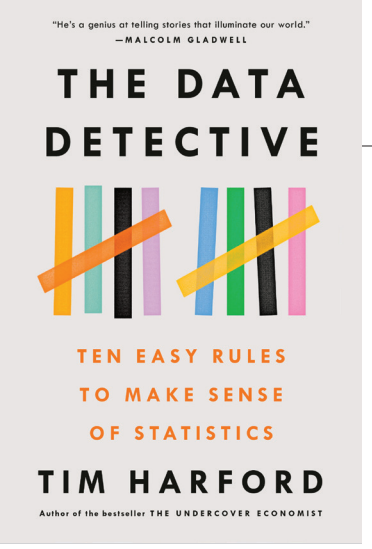

تيم هارفورد
مُحقق البيانات: عشر قواعد سهلة لتفهم الأساس المنطقي وراء الإحصاءات
Tim Harford
The Data Detective: Ten Easy Rules to Make Sense of Statistics
Riverhead Books,
New York, 2021, 336 pp., $21.49

واستنادا إلى أمثلة خضعت للبحث الدقيق عبر النطاقات والفترات الزمنية المختلفة، يذكرنا هارفورد بالخطوات الرئيسية التي ينبغي أن نتبعها عند تحليل سلسلة من الإحصاءات، بما في ذلك الحفاظ على قدر من التباعد بين السلاسل الزمنية حتى لا نتأثر بتحيزاتنا وتجاربنا الشخصية، التي قد لا تكون ممثلة إحصائيا؛ والتوقف برهة للتأمل قبل التوصل إلى استنتاجات؛ وعلى غرار ما يفعله المحقق، توجيه أسئلة بسيطة (مثل ما الذي نسعى لقياسه؟ وما العينة أو المجتمع الإحصائي المستخدم؟) حتى نتمكن من تكوين فكرة عن السياق والمنظور. والأمثلة التي يستخدمها لمختلف مقاييس الدخل والثروة، والفقر، والصحة، ومعدلات جرائم القتل – فضلا عن تنبؤاته بنتائج الانتخابات – تتسم بطابع معبِّر، وقد تتسبب البيانات التي نتلقاها بانتظام في تضليلنا بدرجة كبيرة إذا لم نتوخى الدقة في تمحيصها.

ينبغي اعتبار الإحصاءات أداة يمكنها مساعدتنا في تفهم حقيقة العالم الذي نعيش فيه.

ويتعمق الكتاب كذلك في مناقشة مجالات جديدة مثل البيانات الضخمة وخوارزميات الكمبيوتر، مستعرضا بعض مزايا هذه المصادر الجديدة لمجموعات البيانات الإدارية الكبيرة لكنه يذكرنا كذلك بجوانب القصور فيها وتحيزاتها المحتملة. ويقدم هارفورد في كتابه شرحا تفصيليا مستشهدا بأمثلة مقنعة لمدى أهمية شفافية البيانات، وتحليلها الصارم، وحماية استقلالية الهيئات الإحصائية، التي يصيب في دعوتها باسم «حجر الأساس الإحصائي للأمم».

ويصدر كتاب «مُحقق البيانات» في الوقت الملائم: فنحن نواجه هجمة شرسة من الإحصاءات المتعلقة بالقضايا الحيوية مثل تبعات تغير المناخ، وجائحة كوفيد–١٩، والهبوط الاقتصادي، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وهذه ليست سوى البداية. وهذا الكتاب الموثق بشكل جيد جدير بالقراءة لكل من ينتابه الفضول حول كيفية تفهم الأساس المنطقي وراء كل المعلومات عن هذا العالم المتشابك الذي نعيش فيه. FD

لويس مارك دوشارم، كبير الإحصائيين، ومسؤول البيانات، ومدير إدارة الإحصاءات في صندوق النقد الدولي